Arabic Language & Literature
Vol. 16, No. 3, Autumn 2020
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6934
DOI: 10.22059/jal-lq.2019.283582.939

The Signs of Ethnicity in Contemporary Jewish Poetry: A Case Study by Nahman Bialik

Karim Keshavarzi[1], Mohammad Ali Salmani Marvast[2]*

1. Ph.D. Candidate, Department of Arabic, Yazd University, Yazd, Iran

2. Assistant Professor, Department of Arabic, Yazd University, Yazd, Iran

(Received: June 26, 2019; Accepted: December 2, 2019)

Abstract

Ethnicity is about bringing people together in the land of historical and religious heritage and honoring the greatness of the homeland and the preference of patriotic interests over personal interests. The placement of ethnicity in the context of literature reveals the poet's patriotic notions and his attempt to preserve the historical and cultural and religious heritage. Jewish poetry is one of the literatures that is influenced by different ethnic styles and attitudes, and in line with the Zionist plan in the contemporary era, it has no unilateralism or pluralism, so that the pain of the Jewish people's veins toward It uses topics such as introversion, race, dead sand, and exaggerating the grandeur of the Hebrew myths. The Bialik synagogue has made numerous attempts to transform the ethnicity and wake the Jews of the unfortunate situation by comparing the Jews in the past. Bialik transformed Jewish poetry from Jewish Arab identity in the Middle Ages to Zionist Western identity in the new era. This study has concluded that the characteristics of ethnicism in Bialik poetry are based on introversion, racism, the idea of liberation and patriotism, and the past by which the poet purifies the Jewish character of Palestinian Judaism and removes Arab and Islamic identity. It is worth noting that the concept of emancipation in Bialik poetry is to awaken the Jewish community and to reform the Jewish struggle. This research is based on a descriptive and analytical method that aims to study the concept of ethnicity and its conceptual structure in the poetry of Nahman Bialik.

Keywords

Contemporary Jewish Poetry, Jewish Ethnicity, Bialik Synonym, Zionist Tendency.

* **Corresponding Author, Email:** Salmani_m@yazd.ac.ir

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٦، العدد ٣، خريف ٢٠٢٠م
صفحة ٤٨٣- ٥٠٤ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

تطوّر المظاهر القومية في الشعر اليهودي الحديث
"نحمان بياليك" نموذجاً

كريم كشاورزي[١]، محمد علي سلماني مروست[٢]*

١. طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، يزد، إيران

٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، يزد، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٦/٢٣؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/١٢/٢)

الملخّص

تعني القومية بانتماء الشعب إلى أرضهم وتراثهم والتغني بأمجادهم وتقديم مصلحة الوطن على الأغراض الفردية. دخلت القومية في مضمار الأدب وتسلّط الضوء على هوية الشاعر وفكرته الوطنية ومدى اهتمامه بإحياء التراث التاريخي، والديني والثقافي. الشعر اليهودي من الآداب التي تأثّر بالتيارات والنزعات القومية المختلفة وقد يتّصل بالمشروع الصهيوني في العصر الحديث وليس أدباً فردياً بل يهتمّ بقضية الشعب اليهودي كمعاناته وتوعية جيلهم في سبيل تركيز المفاهيم الوطنية، والانطوائية، والتغني بالأمجاد والأساطير العبرية. سعى نحمان بياليك (١٨٧٣-١٩٣٤) سعياً بارزاً في تطوّر القومية اليهودية وأوقعها في سبيل عملية إنهاض قومه ورفض الأوضاع المرزية بواسطة المقارنة بين أحوال اليهود في الماضي والحاضر. تغير بياليك الشعر اليهودي من الهوية العربية- اليهودية في العصور الوسطى إلى الهوية الغربية- الصهيونية في العصر الحديث منذ كان اليهود قد استوطنوا في البلاد العربية والأندلس وفلسطين الرّاهنة. وصلت هذه الدراسة إلى أنّ الميزات القومية في شعر بياليك يعتمد على المفاهيم الجنسية، والوطنية، والتراثية، وفكرة الخلاص ويحاول الشاعر في جانبها ربط اليهودي بوجوده وأسلافه في سبيل فن تطهير الشخصية اليهودية وتهويد أرض فلسطين وإزالة هويتها العربية والإسلامية، فلابدّ من الإشارة إلى أنّ فكرة الخلاص وأهمية التراث في أشعار بياليك صارت كأداة أساسية لاستنهاض شعبه والحركة نحو التحديث والثورة والحرب. تعتمد هذه الدّراسة على المنهج الوصفي- التحليلي وتهدف غايتها الرّئيسة إلى دراسة مفهوم تطوّر القومية ومفاهيمها في شعر "نحمان بياليك" الشاعر اليهودي الحديث.

الكلمات الرئيسة

الشعر اليهودي الحديث، القومية اليهودية، نحمان بياليك، النزعة الصهيونية.

---

* الكاتب المسؤول
Email: salmani_m@yazd.ac.ir

مقدمة

تعتبر القومية إحدى الحركات الحديثة وقد شاعت في أذهان الكثير من المثقفين الغربيين لإنهاض الشعب والحركة نحو الوعي، واليقظة، والحرية والديمقراطية. هناك علاقة وطيدة بين القومية والأدب حيث تغيرت مفاهيمها الجوهرية في نهاية القرن الثامن عشر متضمنةً على تمجيد العناصر الجنسية، والوطنية، والتراثية والتغني بأمجاد وطقوسات وسلوك الشعب عبر التاريخ.

لقد شكلت المظاهر القومية في الآداب الكثيرة كـ: العربية والأوروبية والأمريكية بما أنّها تغيرت مِن مجتمعٍ إلى مجتمعٍ بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية وأيضاً ارتبطت بالحرية وذكريات النفي والإبعاد والقهر والحصار عند شعراء اليهود، فأمّا القومية فواجهت نوعاً من التيارات والمفاهيم المتذبذبة في طوال حياة الشعر اليهودي حيث انكمشت ميزاتها ومفاهيمها الجوهرية في لسان الشاعر اليهودي القديم؛ لأنّ الإنتاجات الأدبية لليهود تغاير شؤون آداب الشعوب الأخرى كالعربية أو الإنجيليزية أو الألمانية الذين ينتمون إلى جنس بشري بعينه إلى وطن بعينه وبيئة بعينها وفي جانب آخر تشرّد الشعب اليهود في شتّى البلاد لم يمهّد لهم توطيد الأدب واتّساع مظاهر القومية والحركة نحو التجدّد والإبداع.

مع دراسة في تاريخ الشعر اليهودي في العصور الوسطى خاصّة في غضون استيطانهم في البلاد العربية تعرّضنا لمفهوم القومية اعتماداً على "التفضيل[١]" منطوياً على إطار تمجيد ديانتهم وتبشيريها وسلوكياتهم وأخلاقياتهم النبيلة في إكرام الضيف والشجاعة؛ فهذا تبرز بالوضوح في شعر "سموأل بن عاديا[٢]"، و"إسماعيل بن نغريلة[٣]" و"موسى بن عزرا[٤]" في العصر الجاهلي والأندلس. فالجدير أنّ هذه الأشعار لا تلتبس بالمظاهر القومية اليهودية المتطرفة في العصر الحديث حيث لم يزدهر القومية ومكوّناتها كإنشاد الشعر باللغة العبرية والعودة إلى أرض الميعاد، والإنطوائية في الشعر اليهودي الوسطى بل تمتاز بالحركة الانعزالية دون أن تمكن الشعر اليهودي أن يتخلّص من ميزات الشعر العربي شكلاً ومضموناً فإنّ الشعراء

---

١. التفضيل هو أساسه على إطار الأخلاق النبيلة والدينية دون العنصرية والجنسية والعرقية...

٢. الشاعر اليهودي وقد يعيش في العصر الجاهلي ويشتهر بالوفاء وصدق الأمانة.

٣. الشاعر اليهودي الأندلسي والعالم النحوي، اللغوي والسياسي وبرع في الأدب العبري والعربي.

٤. الشاعر اليهودي الأندلسي وتأثّر بالفلسفة الإسلامية وأنشد الشعر باللغة العبرية والعربية.

اليهود يحاولون بالازدهار الشعر الديني اليهودي على أساس الشعر العربي دون أن يشوبه بالأهداف السياسية والعرقية والجنسية.

لم يطُل حضور اليهود في الأندلس وحياتهم الطيبة والرفهة حتى نزحوا إلى البلاد الأوروبية وواجهوا التضييق الديني والاجتماعي خاصّةً في الألمانيا وبولندا والإنجلترا وفرنسا فأمّا التيارات الاجتماعية الثقافية والدينية أدّت إلى اندماج اليهود في الحياة الرّوسية حيث واجهوا نوعاً من الحرية في أداء طقوساتهم الدينية؛ ولكن لا نستطيع إطلاق لفظ "القومية" على الجماعات اليهودية التي تتحدّث بعدّة لغات وقد تعيشون في مناطق عديدة وليست لهم أرض مقصورة فإنّهم يعتبرون الجماعات اليهودية المتفرّقة دون التسنّي بالهوية والقومية الواحدة فإنّهم تعاطفوا مع أبناء قومهم أينما وجدوا.

ضمّت أشعار بياليك في روسيا التطوّر القومي اليهودي حيث سعى الشاعر سعياً بارزاً لازدهار الشعر العبري وحركته نحو الميزات الانطوائية والعرقية والوطنية. استلهم الشاعر من التراث اليهودي وسخّره في خلق الإنسان اليهودي الجديد المبني على قيم البطولة والثورة والانتقام والعودة إلى أرض الميعاد؛ فالجدير ذكره هنا أنّ بياليك حثّ على تهميش مساعي أدب المقاومة العربية وإزالة هويتها من فلسطين بواسطة عنصر التهويد والتطهير حيث أنّه يعتقد «أنّ "الأدب والقومية ظاهرتان لا يمكن التفرّق بينهما"» (قرانيا، ٢٠١١: ٣٥) تشتمل القومية عند بياليك على مضمار الروح الوطنيّة متأثّرةً بالحصار والتشرّد والمنفى اليهودي بواسطة الأدب الذي أنشد باللغة العبرية ويرسم فيه الأبطال والقصص والتراث الديني اليهودي لأجل المقارنة بين أوضاع اليهود في الماضي والرّاهن.

الإطار النظري للبحث:

كان الأدب يعتبر أحد أسلحة الحركة الصهيونية في ترويج أفكارها وفكرتها القومية؛ وحمل مجموعة من القضايا الجوهرية وهي قضية الاغتراب وتشتّت الهويات والمرجعيات الفكرية المتضاربة كـ: الفكرة الدينية والعلمانية والفلسفة الأوروبية والشرقية لتحكيم انتماء الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد وتوطيد فكرة الخلاص وتطهير الشخصية اليهودية وأيضا تهويد أرض فلسطين.. لو تريثنا بالشعر اليهودي في البلاد العربية كشبه الجزيرة العربية، والعراق والأندلس (في زمن استيلاء المسلمين) وفلسطين الرّاهنة لوقفنا على ثلاث مراحل في تطوّره: ١. مرحلة التقليد من الشعر العربي شكلاً ومضموناً. ٢. المرحلة بين التقليد والتجديد في

الأندلس وهذا يرجع لإحياء اللغة العبرية بوصف اللغة الأدبية متضمنةً البحور ومضامين الشعر العربي. ٣. مرحلة التجديد في أوروبا وفلسطين الرّاهنة وقد تكونّت مضامينه من الأدب الأوروبي والفلسفة الغربية والتراث اليهودي.. يتطرّق هذا البحث إلى المظاهر القومية في شعر بياليك؛ فإنّها ترشدنا إلى النقاط الهامّة التي تتحدّد في مجال النقد، ومتغيرات زمانية ومكانية والواقع المعيش للأديب في تشكيل خطابه الشعري والميزات المضمونية والشكلية في قصائده حيث أنّ بياليك لم يألُ جهداً في سبيل تثبيت موازين تطهير أرض فلسطين من الصبغة العربية وتهميش أدب المقاومة العربية في ظلّ الاحتلال الصهيوني. حاولت هذه المقالة فحص القومية اليهودية في مضمار الشعر فتجدر الإشارة إلى أنها ليست مِن السَّهل تبيين المعنى الدقيق للتطوّرات القومية في الشعر اليهودي لأجل إنشاد الأدب اليهودي بشتّى اللغات لهذا لا يوجد أيّ ادعاءٍ بأنّنا عالجنا جميع العناصر التي يتمّ بها فحص المعنى وما خضنا القومية وتطوراتها في الشعر اليهودي الحديث.

أسئلة البحث:

قد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة الإجابة عن ثلاثة أسئلة: ١. كيف تشكلت المرتكزات القومية في الشعر اليهودي عبر التاريخ خاصةَ منذ استيطان اليهود في البلاد العربية؟ ٢. ما هي أهمّ تجليات التطوّرات القومية في شعر بياليك؟ ٣. ما هي أهمّ ميزات فكرة الخلاص في شعر بياليك؟

خلفية البحث:

لقد لوحظت أنّ دراسات أدبية لكتّاب العرب لعبت دوراً هامّاً في الكشف عن الإيديولوجية الصهيونية ومظاهرها البارزة في الشعر اليهودي الحديث عامّةً و"نحمان بياليك" خاصّةً؛ فهناك بحوث تطرّقت إلى ميزات الشعر اليهودي في العصر الوسيط والحديث كـ:

- مأمون كيوان في مقالة «الصهيونية الأدبية وموضوعاتها: الشعر نموذجاً» (١٩٩٧م) فهو عالج السمات الخاصّة للشعر الصهيوني كالشعر الاحتجاجي والشعر القومي والحربي ويذكر هذا الباحث السوري الاستشهادات الشعرية من جانب شعراء اليهود كـ: بياليك، تيشرنخوفسكي، وكرينبرك مبيناً مساعيهم لإحياء اللغة العبرية والدعوة إلى الغزو والقومية.
- حياة جاسم محمّد في مقالة «صورة المسيحي في الأدب الصهيوني» (١٩٨١م) يشير إلى الأبعاد السلبية والإيجابية للصورة المسيحية في الشعر اليهودي الحديث وبادر

إلى التقصّي عن العلاقة بين المسيحيين واليهود عبر الأدب وفي الختام يأتي الباحث نماذج شعرية للكشف عن مظاهر الصراعات الأدبية بينهما.

- فائزة عبد الأمير نايف الهديب، في دراسته «الاتّجاهات الصهيونية في الأدب العبري الحديث "دراسة وتحليل"» (٢٠٠٧م) عالج أحوال اليهود في العصر الحديث وتبيين مظاهر الدعوة الصهيونية التي شجّعت عملية إحياء اللغة العبرية وأيضاً يشير الشاعر إلى الأدب العبري وأشكاله المختلفة من الشعرية والنثرية وتأتي في الفصل الأخير بأشعار تدلّ على توظيف التراث اليهودي في سبيل السياسة الصهيونية عند "ن بياليك" دون أن تناولت الباحثة بمظاهر تطوّر القومية في أشعاره.
- حسن العزام تيسير في مقاله معنونة بـ«قيم وأخلاق توراتية في ظاهر نشيد الأنشاد[١] وباطنه أثّرت في حياة والأدب العبري الحديث» (٢٠٠٩م) تطرّق الدّارس إلى أنماط النصوص الأدبية في نشيد الأنشاد للكشف عن الجمال الشعري والعواطف الإنسانية التي اتّسمت بالمادّة الدينية والمظاهر التربوية للطفل اليهودي مؤكداً أنّ شعراء اليهود الحديث يوظّفه في سبيل فن "التهويد" و"التطهير" للجنسية اليهودية.
- محمّد قرانيا الباحث السوري في مقالة «العنصرية في الأدب الصهيوني» (٢٠١٠م) أشار إلى مصطلحات لغوية يسخّرها شعراء اليهود لترويج فكرتهم العنصريّة كـ: القدس الشريفة، مذابح النازية، يهود الشتات، يهود المنفى و...
- محمّد قرانيا في دراسته «النزوع العنصري في الأدب الصهيوني "دراسة تطبيقية"» (٢٠١١م) وقد بحث عن مصطلحات الأدب اليهودي والصهيوني والعبري والإسرائيلي وتعرّض لدور فن الرّواية والقصّة في توطيد الرؤية الوطنية عند الشعب اليهودي؛ فإنّ الباحث يستظهر في جانب الأدب العبري خصائص شعر بياليك وجهاتها المتذبذبة بين الدينية والعلمانية مذكراً أنّها نشأت من أجل التناقضات الفكرية عند الشاعر.

ممّا يلفت أنظارنا بأنّ هذا المقال عالج قضية تطوّر المظاهر القومية في شعر بياليك حيث يحلّل عناصرها ومفاهيمها الجوهرية؛ على حسب التقييم المنهجي والدراسة عن قصائده الشعرية؛ وأيضا انطباقها مع الإنتاجات الشعرية تحت إطار صورة ما بين الماضي

---

١. هو سِفرٌ قصيرٌ يتألّف من ثماني الإصحاحات وهو عبارةٌ عن مجموعات شعرية نسبت إلى سليمان النبي.

والحاضر وقد كانت اليهودية في الماضي مجرد الديانة وتعيش جنباً إلى جنب الإسلام والمسيحية ولكن في الحاضر وقد تداخل مع المصالح السياسية الصهيونية في أدب بياليك الشاعر القومي اليهودي، فإنّ هذا الأمر لم يقِف إليه الباحثين في آثارهم؛ اللّهُمّ، إلّا في آثار أدبية قليلة من جانب الأدباء الغربيين فهم قد اتّضحوا الشعر اليهودي وخصائصه فلا أكثر.

نحمان بياليك والمظاهر القومية اليهودية

ولد حاييم نحمان بياليك عام ١٨٧٣م في فولينيا الرّوسية «وتمثّل في بداية حياته كلّ صُور حياة تقليدية يهودية وقد تبرز بالمفاهيم التبشيرية والدينية حيث يحرّض الشعب اليهودي على التمسّك بشريعة التوراة والطقوسات الدينية، كأنّه يريد أن يبتعد عن عالمه الحقيقي في العصر الحديث ويجد في هذه الكتب التوراتية راحة روحه والسلوان» (عبد الله الشامي، لا تا: ٣٣). تعلّم بياليك العلوم الدينية اليهودية في "بيت همدراش"[١] فعندما هبّت رياح التنوير العقلي والتحديث في روسيا شكّ في المعتقدات والتقاليد الدينية اليهودية وفي عام ١٨٩١م اتّجه الشاعر إلى "أوديسا" وتعرّف على زعماء إحياء الفكر القومي اليهودي كـ "أحد هاعام" المفكر والكاتب الصهيوني، فإنّه أثّر تأثيراً كثيراً على فكرته القومية وفي الجانب الآخر مع نفوذ التيارات القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر «بادر الشاعر إلى الجهود المضنية لإحياء اللغة العبرية والتطوّر القومية اليهودية على أساس الفلسفة الغربية كالتفوّق الجنسي ونفي اندماجهم بالأغيار وتوطيد الرّوح الوطنية عند اليهود» (قرانيا، ٢٠١١: ١٣٥).

أنشد بياليك قصائد "موتى الصحراء"، و"في مدينة القتل"، و"سفر النيران" فهو أشار إلى الحركة القومية اليهودية التي نشأت من أجل تحويل التراث الديني اليهودي إلى ما يشبه الفلكلور أو التراث الثقافي الشعبي «لأنّ الدين لا يصلح أن يعتبر كأداة أساسية لنشوء القومية لأنّ الرابطة الدينية وثيقة أخلاقية وليست الرابطة الزمنية المتعينة فإنّها تتغير على حسب استيطان الشعب في البلاد الشتّى» (المسيري، ٢٠٠٣: ١١). لهذا اعتبر بياليك زعيم القومية اليهودية في الشعر وقد أوحت قصائده مفاهيم الوطن والعرق ورفض التعاليم الدينية والاغتراب وآلام اليهود والانطوائية. في عام ١٩٢٤ استقرّ بياليك في فلسطين واستمرّ نشاطه

---

١. البيت التوراتي القديم الذي كان مركزاً للدراسة والمبادي الدينية اليهودية وكان اليهود يبادرون بطقوساتهم على مرّ الأيام جيلاً بعد كلّ جيلٍ لكلٍّ مَن طلب التعمّق في المرتكزات الدينية والتاريخية والثقافية لليهود...

الأدبي والثقافي في ظلّ الدولة الصهيونية وصار رئيساً للغة العبرية وفي عام ١٩٢٦ وقد قام الشاعر برحلة في الولايات المتحدة واتّسمت أعماله الأدبية في ظل تطوّر اللغة العبرية وقوميتها، ثمّ مات في فولينيا حيث كان تحت العلاج الطبي» (نايف الهديب، ٢٠٠٧: ٢٢٣).

اهتمّ بياليك باللغة العبرية بوصف تطوّر القومية وإحياء الشعر اليهودي الحديث التي قد زالت عبر التاريخ فهو لا يوظّف اللغة العبرية بوصف اللغة الدينية التي تستخدم في الوصايا الدينية والكتب المقدسة بل صارت كاللغة القومية ولغة شعب اليهود في أحواهم وحياتهم اليومية والأدبية والاجتماعية، في هذا الصدد أنّ اللغة العبرية تمتاز عند الشاعر بتشكيل موازين الوطن والشعب بما أنّ «توافر الشعب والوطن يؤدّي إلى وجود اللغة لأنّها تعتبر الأداة الضرورية لقيام الشعب، فأدب الأمّة يجب أن نقرأه ونسمعه ونستوعبه في لغتها التي أوجدها أبناؤها» (حسنين علي، ١٩٧٢: ٣٥).

قد قسمت قصائد "بياليك" إلى أربعة أقسام حيث تدلّ على إرهاصات النزعات القومية في بداية القرن العشرين وهي: «١. فكرة العودة إلى الأرض الموعودة. ٢. تعزيز فكرة عودة المسيح المخلص. ٣. نبذ الاندماج في الشعوب الأوروبية. ٤. إحياء التراث اليهودي» (انظر: حسين شمالة، ٢٠١٢: ٥٧). تعتبر هذه الأفكار كركيزة أساسية وحلقة مفقودة في تمثيل المظاهر القومية في شعر الشاعر وهو يبادر إلى استجلاب الشعب اليهودي لشمل قوميتهم التي افتقدت عبر التاريخ، فيعبّر الشاعر التراث اليهودي تعبيراً سياسيا حيث «أحبّ بياليك الماضي اليهودي حبّاً رومانتيكياً وسعى للحفاظ على التراث في خدمة الحركة الصهيونية» (عبدالله الشامي، لا تا: ٣٣). فاللافت أنّ بياليك يتّخذ طريقة "المقارنة" بين الماضي اليهودي والحياة الرّاهنة بما يعطينا من روح العزلة والانطوائية عند الشعب اليهودي وفي الجهة الأخرى يمتزج بين رؤيته العاطفية والسياسية؛ فهو يترابط بين "بيت همدراش" كرمز القوّة الدينية فهو يمثّل مكاناً يتعلّم اليهود فيه طقوسات الدين اليهودي وبين "الجيتو"[١] وقد يمارسون فيه اليهود مبادئهم الدينية بالمعزل عن بقية الشعوب؛ حيث أنّ الشاعر يمنع اليهود من ترك الجيتو ويدعوهم إلى سياسة الانغلاق والانعزال لعدم اندماج الشعب اليهودي بالشعوب الأخرى؛ من ثَمَّ لا يكترث الشاعر بإبداع الشعر الديني اليهودي

١. يطلق الجيتو بصفة عامّة على الأحياء الذي يسكنها مجموعة من الأشخاص الذين ينعزلون بسبب لونهم أو وضعهم الاجتماعي والتمييز العنصري ولقد استخدم بصورة خاصّة على الأماكن المقصورة التي كانت أغلب سكانها من اليهود في أنحاء العالم. (انظر: إبراهيم عبّاس، ٢٠٠٩: ١٧٢)

والدعوة الدينية في أشعاره لهذا اعتبره الصهاينة الشاعر القومي اليهودي الذي جدّد الهوية الصهيونية في الشعر اليهودي الحديث وقد كانت مصادرها من الفلسفة الأوروبية، والفكرة الصهيونية والتراث اليهودي فإنّها تعدّ علامة رئيسية لتطوّر الشعر اليهودي من حيث الشكل والمضمون؛ فهنا نشير إلى أهم مفاهيم التطوّر القومي في شعر بياليك لكشف الستار عن أشكال تطوّر الشعر العبري الحديث بوصف التجربة القومية:

أ) القومية ومفهوم العرق والجنس:

تعتمد الأفكار العرقية على علوّ شأن عنصر على آخر فهذه الفكرة لم تكن وليدة فلسفة الغرب فحسبُ «بل لها جذورٌ تاريخيةٌ ترجع إلى الفلسفة الهندية، واليونانية، والشعوب القديمة في الشرق والغرب» (أحمد ديبو، ٢٠١٠: ٥٢٥)، يتضمّن العرق والجنس إحدى مرتكزات تطوّر القومية في شعر "بياليك" حيث يبرز الشاعر خصائصها بالصبغة العلمية والفلسفية وإعطائها هالةً من التقديس بواسطة التراث، لهذا يتفوّق اليهودي نفسه على غيره من أجل سلالته وماهيته، كأنّنا نرى أنّ بياليك «يشير إلى التفوّق اليهودي على غيره في قصيدة "موتى الصحراء" الأخيرين، فهو يستفيد من القصص الواردة في العهد القديم لتفضيل الشعب والجنس اليهودي عبر التاريخ» (كيوان، ١٩٩٧: ١٩١). كقوله في قصيدة "موتى الصحراء الأخيرون":

فاليومُ أو غداً سَتقطَعُ الرّيحُ الشَّرقيةُ/ وسَتظهَرُ الشَّمسُ حَتى الابتهاجِ/
لِتُرسلَ نوراً لِأوَّلِ مَرَّةٍ عَلى وَجهِ جِيلِ شَديدِ البَأسِ (راشد حسين، ١٩٦٦: ١١٣)

يغرق الشاعر في توصيف الشعب اليهودي بصفة كجيل شديد البأس ويستلهم من الطبيعة وعناصرها تمثيلاً رمزياً لبيان إعادة السطوة اليهودية في العالم و«لا شكّ أنّ الشاعر أراد بالجيل شديد البأس دُعاة النزعة الصهيونية وهي جيل موسى الذين حملوا السلاح مع "يشوع بن نون" للدخول في أرض فلسطين» (نايف الهديب، ٢٠٠٦: ٨٧). يصف الشاعر أبناء بني إسرائيل بالقوّة ويشبّها ببزوغ الشمس في الشرق؛ كأنّهم يناهضون أمام الأعداء والشمس يبتهج بالفرح والرّقص عندما يشاهد بسالتهم وشجاعتهم، في حالة أنّ الشاعر «يبادر إظهار الشخصية الصهيونية المتحضرة بمظهر السوبرمان قد تعلو على كلّ شعوب العالم» (قرانيا، ٢٠١١: ٤٦). ويقول الشاعر أيضاً في موضع آخر:

شَعبٌ لا يتَزحزَحُ، لا يضطَرِبُ/ هَذا شَعبُنا/ يدُهُ العُليا دَائِماً (راشد حسين، ١٩٦٦: ١١٤)

يتحدّث الشاعر عن الشعب اليهودي متّصفاً بعلوّهم لوناً، وجنساً، ووراثةً على غير الشعوب وقد يقصد في توطيد المشروعية الصهيونية بأنّها تجمع اليهود العالم واستجابة دعواتها في العودة إلى أرض الميعاد. يشدّد "نحمان بياليك" العرقية اليهودية متّصفاً بالانطوائية وعدم اندماج اليهود بالشعوب الأخرى فهو يعلو شأن الجنس اليهودي ويبادر إلى تفضيل جنسيتهم ويحذّر ذوبانهم بالأغيار كقوله:

أهكذا تَندَمِجُون/ لقمةٌ سائغةٌ بين أسنانِ الشّراهين/ هكذا صَارَ أبناؤُكم/ في الأَحجَارِ الرّخِيصةِ/ تَتركونَهم ويأكلونَ أجسادَكم الحَيَة/ اِسمنتاً بين الحَجَارةِ والخَشَبِ (العياري، ١٩٨٧: ٦١)

يشير الشاعر إلى القضية الانطوائية[١] في الشعر اليهودي «كأنّه يحذّر الاختلاط اليهود بالشعوب الأخرى باعتبارها معادن رخيصة تفسد المعدن الكريم النفيس فهو الشعب اليهودي» (سليمان، ٢٠١١: ١٩٩). لقد ركز الشاعر إلى قضية رفض الاندماج اليهود بالأغيار خاصّة العرب والشعب الأوروبي فهو يرى الشعب اليهودي بوصف الجنسية الخالصة والمتميزة ولم تكن قادرةً أن يندمج في الشعوب الأخرى. في مكان آخر يوبّخ الشاعر اليهود بذوبان جنسيتهم وهويتهم بالثقافات الأخرى مشيراً إلى أنّ هذا الأمر أدّى إلى قصاص الرّب كقوله في قصيدة "حقّاً أنّ هذا قصاص الرّب":

حقاً إنّ هذا قصاصَ الرَّبِ، وسُخطَه العظيمِ/ الَّذي تُنكرُه قُلُوبُهم/ وزَرَعتم دَمعتُكم المقدَّسة في كلِّ المياه/ ونَظَمتُم مِن خُيُوطِ النُّورِ شعراً خادعاً/ وأفَضتُم رُوحَكم فِي كلِّ رُخامٍ أجنَبِي/ وفِي أحضَانِ الأصنامِ أغرَقتُم أنفُسَكم (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٠١)

يمضي الشاعر عبر هذه الأشعار بالإشارة إلى الهويات اليهودية العديدة وردّ التراث اليهودي في الشتات فقد نشأت منذ استيطان اليهود في شتّى البلاد خاصة الدولة الإسلامية؛ في هذه القصيدة يعبّر بياليك عن العرق وآثار أدبية لليهود قد اختلطت بالثقافات العديدة والعناصر والمياه الأجنبية التي لا تمكن أن تفصلها بوصف القومية والأمّة الواحدة حيث ينبّه

---

١. طرح مصطلح الانطوائية في كتاب " التحرّر الذاتي" ليوبينسكر فهو يمنع اندماج اليهود بالشعوب الأخرى قائلاً: إنّ الشعب اليهودي عنصر متميز عن غيره ولا يصلح للذوبان والاندماج في كيان أيّ أمّة. شاع هذا المصطلح في الأدب اليهودي الحديث فلا نشاهد حضورها في الأدب اليهودي الوسيط فهذا يرجع لاختلاط اليهود بثقافات البلاد المستوطنة. (انظر: قرانيا، ٢٠١١: ٦٥)

الشاعر «اليهود لا جذور وجنسية لهم في الحضارات المتفرقة وانطلاقاً من هذه الرّؤية ينظر إلى التراث اليهودي في الشتات (خارج وطنهم القومي) على تراث بلا قيمة لأنّه لا يعبّر عن الجوهر الخالص اليهودي» (المسيري، ١٩٨٢: ٢١٠).

على ما يبدو هناك فروقٌ جليةٌ بين القومية اليهودية التي تعتمد على وصف الأبطال والأمجاد في العصور الماضية والعصر الحديث حيث «يستخدم مصطلح" اليهود العرب" لبيان أنّ الهوية اليهودية وقوميتها في العصور القديمة هي مسألة دين وليست انتماء عرقياً أو جنسياً» (أنور، ٢٠١٥: ١٧٣)،كأنّنا نرى أنّ أساس العرق في الشعر اليهودي خاصةً في زمن استيطانهم في البلاد العربية، ينطوي على أساس الفضائل كالكرم، والمناعة، والمنطق، والموروث الديني دون التوجّه إلى التعصبية العرقية والانطوائية الصهيونية، فهذا يتّضح بالوضوح في شعر "سمؤال بن عاديا" الشاعر اليهودي في العصر الجاهلي:

تعيرنـــا أنّـــا قليـــلٌ عدُيـــدُنا ... فَقُلْـــتُ لهـــا أنَّ الكـــرامَ قَليـــلُ
ومـــا قـــلَّ مَـــن كانَـــت بَقايـــاه مثلُنـــا ... شَـــبابٌ تســـامى لِلعُلـــى وكهُـــول
مـــا ضـــرَّنا أنـــا قليـــلٌ وجارُنـــا ... عزيـــزٌ وجـــارُ الأكثـــرينِ ذليـــلُ

(أبو الفرج، ١٩٩٢: ٦٦)

يصف الشاعر قوم اليهود بأوصاف كالكرم والعُلى وإكرام الضيف على سبيل "التفضيل" لا "العنصرية" التي تتضمن اللون والجنس والوراثة كما يقال «هناك فرق بين "التفضيل" و"العنصرية" لأنّ أساس التفضيل يعتمد على أمور منطقية يقرّها العقل السليم والخلق القويم والتعاليم الدينية لكن العنصرية تمتاز بعنصري الدم والعرق والحركة نحو إثباتها بواسطة الأساطير المصطنعة والأحكام القومية المتشددة» (أحمد ديبو، ٢٠١٠: ٥٢٦).

نستنتج من خلال هذه المباحث أنّ القومية اليهودية الحديثة في مضمار الشعر يتّجه إلى العرق والجنس فهذا يخالف مضامين الشعر اليهودي الوسيط وقد ينطوي على الفخر بالفضائل اليهودية ولا تتّسم بوحدة ثقافية ودينية في تلك العصور «لأنّ انتشار اليهود في أنحاء العالم وتفاعلهم مع شتّى الشعوب من حيث تقاليدها الحضارية والدينية قد تحوّل اليهود إلى جماعات متفرّقة غير متجانسة ولا التماسك والتجانس والوحدة بينهم» (المسيري، ٢٠٠٣: ١٧). ولكن تنطوي القضايا العرقية في شعر "نحمان بياليك" على تغيير الشخصية

اليهودية الشايلوكية[١] والحركة نحو الانطوائية التي تمنع ذوبان واختلاط اليهود بالشعوب الأخرى وأيضا تتضمّن الإيديولوجية الصهيونية وماهيتها العنصرية وقد تفضّل الشعب اليهودي بوصف الشعب الله المختار وقد يسعى لإنشاء التاريخ الجديد والوطن الموعود لليهود.

ب) القومية ومفهوم العودة إلى أرض الميعاد:

واجهت القومية اليهودية مفهوم الوطن والأرض عند "بياليك" فهو يلقي الضوء على الهوية الحديثة التي تبرز حاجة المجتمع اليهودي للعودة إلى أرض الميعاد. فاليهودي عند بياليك يربط رابطاً قومياً فريداً بأرضه بواسطة الأساليب الرمزية والرّومانسية، كما «ترتبط التطورات القومية في مضمار "هوية الأرض" في الشعر اليهودي الحديث مندرجاً تحت مضمار الوطن والحدود الجغرافية والاغتراب المكاني والحنين وآلام البعد عنها وضرورة العودة إليها» (حنفي، ٢٠١٢: ٦٣).

يوظّف "بياليك" في أشعاره الحنين والتلهّف إلى أصداء الماضي اليهودي وينادي أطلاله وخرائبه ويذرف الدموع كما كان الشعراء الجاهلية يقفون على الأطلال والدمن وقد يذرفون الدموع لأجل فراق الأحباب، فهذه الصور تشغل مكانةً واسعةً في شعر "بياليك" حيث يشير الشاعر إلى الجغرافيا الوطنية لليهود بمثابة القومية اليهودية كقوله في قصيدة "إلى العصفور" التي كتبها عام ١٨٩١م. مستعملا العصفور كرمز يخاطب من خلاله رموز الأرض المقدّسة ومطالباً منه أن يحقّق أمجاد الأرض القديمة ويشجّعهم على العودة إلى أرض الميعاد كقوله:

تَحيةٌ دافِئَةٌ لِعُودتِك أيها العُصفورُ الجَميلُ/ مِن البِلاد الحارّةِ إلى نافِذتِي/ كم اشتاقَت نَفسِي إلى صَوتِك العَذب/ أتَحمَلُ لي السلامَ مِن إخوانِي فِي صَهيونَ/ يا أيتها السُّعداءُ أتَعلمونَ أنَّني أعاني (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٢١)

يذكر الشاعر شوقه وحنينه إلى أرض الميعاد فإنّه يستخدم الصور الطبيعية على سبيل الرمز كالعصفور للدلالة على ما في باطنه من الجغرافيا الوطنية لليهود، فهو يدعو الشعب اليهودي إلى الانضمام إلى الإيديولوجية الصهيونية ويثبّت المفاهيم القومية والعودة إلى أرض الميعاد لإزالة الشتات والنفي والحصار اليهودي في العالم. وفي مكان آخر كان الوطن

---

١. الشايلوكية: «هي شخصية يهودية مسمية بالشايلوك في رواية "تاجر البندقية" لشكسبير فهو جسد بأوصاف كـ البخل، واللئيم، والجشع، والنهم. أطلق المنهج الشايلوكي في أوروبا لتطبيق على الشخصية اليهودية التي تتميز بروح ونفسية وعقلية شايلوك» (انظر: المسيري، ٢٠٠٧: ٨٠).

يحفل عند الشاعر بصورة الأرض الرّومانسية الحالمة لا جذور له إلّا في وجدانه وذاته دون الصور المحسوسة الطبيعية فاستظهرت مقوّماتها وخصائصها في خيال الشاعر كقوله:

أتَحملُ لي السَّلامَ، ومِن الوادِي، ومِن قِمَم الجبال؟/ كيف حالُ نهرِ الأردنِ ومياهُه الصافية؟/ كيف حالُ كلِّ الجبالِ وكلِّ التِّلال؟ (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٢١)

يحاول الشاعر بناء وطن على أساس فكرته الانتزاعية وتوصيف مظاهره فإنّه يحيل الأرض إلى الكيان، الإنسان، والوجود، والهوية التي تنعكس هوية الشعب اليهودي والدولة الصهيونية. اللافت أنّ "بياليك" لا يعتبر الوطن بوصف الإقليم بل يمثّله بوصف الدولة في حالة «أنّ تمثيلات الوطن أو الإقليم هي الجغرافيا وليست بمثابة الدولة وتشكيل الأمّة» (حنفي، ٢٠١٢: ٦٣). فالجديرِ ذكرُه أنّ الحديث عن الوطن والأرض لا يتّسع اتّساعاً في الشعر اليهودي الوسيط لأنّ ذوبان اليهود بشعوب البلدان المختلفة لم يوفّر عند الشاعر اليهودي الاهتمام بوطنهم الموعودة والأرض ولكن كانت توجد العصبية الدينية في أغلب انتاجاتهم الشعرية وقد يفتخر الشاعر بالديانة اليهودية أمام ظهور الإسلام كقول "أوس بن الدني" شاعر صدر الإسلام:

فنَحنُ على تَوراةِ مُوسى ودِينِه ... ونَعم لِعمري دينٌ دينُ محمّدِ
كلَانا يرى أنّ الرَّسَالةَ دِينُهُ ... ومَن يهدِ أبوابَ المُرشِدِ يرشَدِ

(أبو الفرج، ١٩٩٢: ١٠٦)

يشير الشاعر إلى انتماءه بالديانة اليهودية وطقوساته دون الاكتراث بالموازين القومية بما فيها من الذود عن الدولة الواحدة والعودة إلى وطنهم. فأمّا الهوية الوطنية فلا تكتسب مقدرتها على البقاء في شعر نحمان بياليك إلّا بواسطة التفاعل والتطوّر مع المعطيات السياسية والاجتماعية، والثقافية فإنّ الشاعر يمتزج التطوّر القومي في مضمار الوطن بالتهكم والترغيب حيث يستهزئ اليهود على معيشهم في الصحاري الخالية ويحرّضهم على ترك واقعهم المذلّ وموجهّاً أنظارهم وقلوبهم إلى أرضِ الميعاد كقوله:

قُومُوا يا تَائهي الصَّحراء/ أُخرُجُوا مِن القَفراء/ كفاكم تَحرّكاً وتَشَرّداً فِي الأرضِ القَاحِلَة/ اليومَ كلُّ شخصٍ يسمَعُ بقلبه صَوتاً يقُول:/ اذهَب إلى أرضٍ جَديدةٍ/ أنتَ اليومَ ذاهبٌ إليها.. (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٤٥)

على هذا الأساس أنّ الشاعر يلائم بين الهوية الوطنية اليهودية والإيديولوجية الصهيونية والموروث التاريخي بما فيه من التشرّد والمنفى لتثبيت الوطن اليهودي الذي لا يحدّ بالحدود

الجغرافية فحسب بل يرتكز على توطيده بوصف الأمّة والدولة الواحدة؛ فتنتاب العودة إلى أرض الميعاد عند الشاعر بالصور الرّومانسية والخيالية لا يستشفها بالأنف ولا يراه بالعين؛ لأنّه ليس لديه علاقة محسوسة ومباشرة بأرض فلسطين فهذا على عكس الأشعار الوطنية لمحمود درويش الشاعر الفلسطيني وقد يصف الوطن بالتجربة الواقعية والمحسوسة.

ج) القومية ومفهوم التراث:

يستند الشعر اليهودي إلى تاريخه السالف للوصل الماضي بالحاضر على سبيل المقارنة حيث أسهم الموروث الديني، والتاريخي والثقافي سهماً أدبياً في الحفاظ على انتماء الشعب على هويتهم وأمجادهم ويطولاهم. يصطبغ التراث في شعر بياليك "رائد الشعر القومي اليهودي" «بشيءٍ من التعامل مع الحياة الجديدة اليهودية كمفاهيم الالتزام، والحداثة، والاستنهاض» (نايف الهديب، ٢٠٠٦: ٩). إنّ التراث اليهودي بإمكانيته القومية يعتبر عنصراً أساسياً في مسايرة القضايا المعاصرة لليهود، فإنّ الشاعر يصوّر في قصائده الرجوع للماضي والتباكي عليه. فالجدير أنّ الطقوسات الدينية لليهود مازلت تؤثّر في ذهنية الشاعر في الحركة نحو الاصلاح لأنّ اليهود وتاريخهم تعرّض في طوال القرون لانكماش والانعزال بسبب فقدان الحرية والأمّة الواحدة؛ فلذا يحاول الشاعر استنهاض الأمّة من سباتها وحفز هممهم من خلال التراث الديني اليهودي؛ فلذا يصف الشاعر الدمار الذي يسود بـ"بيت همدراش" حيث أنّ هذا انهيار للأماكن المقدّسة اليهودية حلّ بنفس الشاعر حزناً وهمّاً وداعياً شعبه إلى اليقظة كقوله:

نَسيجُ العَنكبُوتِ يتمايلُ عَلى سَقفِكَ/ وأفراخُ الغُربانِ تَتَصايحُ عَلى سَقفِكَ المُمَزَّق/
يا جُدرانَ "بيتِ هَمدراشَ"/ يا حَوائِطَ المِحرابِ يا مَلاذَ الرُّوحِ القَوية/ ويا مَلجأ الشَّعبِ
الأَبَدي/ لِمَ تَقِفُونَ هكذا صَامِتين وكالبائِسين؟ (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٣١)

« يوجد في هذه القصيدة تيار العودة إلى الماضي كالفكر الأساسي الصهيوني وقد يشوّق الشاعر اليهود الحفاظ على تراثهم وطقوساتهم الدينية ويستفيد الشاعر من بيت همدراش رمزاً للحياة الدينية لليهود عبر العصور» (المسيري، ٢٠٠٧: ٤٧). فإنّ الشاعر يحكي عن روحه الحزينة عبر التراث حيث يشير إلى انهيار وتزلزل بيت همدراش بوصف المصدر الرئيسي للتراث الديني وقد أصبحت بالية بتقلبات الدهر، وفقدان حمية اليهود للتجمّع فيها، فالواضح أنّ الشاعر يشير في هذه الأشعار إلى القومية التي تركزّ على أساس الشريعة فهنا تتناقض تناقضاً هامّاً بالقومية التي تمتاز بالمادية والفلسفة الغربية وقد تدعو إلى العنف والحرب والقتال.

يستمرّ الشاعر إلى أنّ ترك التراث يؤدّي إلى الفقر والخذلان ومشيراً إلى اليهود الذين تركوا أوطانهم بحثاً عن الحقول الوسيعة والسعادة واندمجوا في الثقافات الأجنبية يصبحون هائماً فلا يتمتّعون بالسلوان والرّاحة كقوله:

وفِي الحُقُولِ مَازالَ كثِيرونَ تَائِهين/ هَل سَيَمُوتُونَ مَيتةَ الصَّالِحينَ أم سَيَجِدُون الرَّاحَةَ؟/ وفِي حَياةِ الطَّالِحِينَ وسَينسُوكَ إلى الأَبَدِ (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٣٤)

يطلبُ الشاعر في هذه القصيدة العناية بقصّة الشعب اليهودي وسيرهم في الصحاري الخالية وهيامهم فيها ويشير إلى أنّ اليهود الذين لم ينتبهوا بالتراث فقدوا راحتهم وماتوا دون أن يخلّصوا من ألم الفراق فلذا يظلّ الشاعر يمعن النظر في قضية التراث الديني ويتّضح تماماً عن رويته استنهاضية لترغيب اليهود في التمسّك بطقوساتهم في الجانب وفي الجانب الآخر التوجّه إلى القومية التي ينطلق أساسها من الوطن وإرساء الأمّة الواحدة.

يقع التراث في مضمار المناهضة والحرب حيث تبنّى بياليك التراث التاريخي اليهودي لتنمية وتعزيز روح المناهضة بين اليهود بما أنّه يجرّد فحوى أشعاره من النزعات العاطفية والشكوى والمظاهر الدينية لأجل إزالة مما سمّي بـ "المأساة اليهودية" عبر التاريخ وهو يتمنّى عودة "يشوع بن نون" لتقوية الجيش اليهودي كقوله:

أمامَ الشَّمسِ المقبلةِ/ مَنظرٌ رائعٌ كوجهِ ملاك الحربِ/ يقِفُ يشوعُ بن نونَ يصيحُ/ على رأسِ جيشِه العَظيمِ/ صَوتُه كالسّهمِ يخرجُ مليئاً قوّةَ والبأسَ (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٤٨)

يريد الشاعر استعادة مجد الشعب اليهودي؛ فيقع في ظلّ بأس وقوّة لامتلاك الأرض والوطن فإنّه لا يحقّق إلّا بواسطة المناهضة وإعادة سطوة "يشوع بن نون". يكترث الشاعر بأوراق التلمود بالوصف التراث الديني اليهودي على أساس الفكرة التجددية حيث يدعو الشعب اليهودي إلى المادية واتباع الفلسفة الغربية وعدم اهتمام بالدين فيردّ على تعاليم الكنيسة ومتّصفاً بالإيديولوجية الصهيونية التي تدحض الدين والمواريث اليهودية حيث يستخدم التراث في خدمة التجدّد في الشعر اليهودي الحديث كقوله في قصيدة "أمام دولاب الكتب" فهو ينكر انتماء اليهود إلى الدين والتقليد لأنّه لا يساعد اليهود في طوال الأزمنة كقوله:

أيتُها الكتُبُ المَكنُوزةُ في الدُّولاب/ يا عَجَائزَ الكتُبِ أنّي أنظُرُ فِيكم وَلَا أعرِفُكم/ مِن بَينَ حُروفِكم لم تَعُد تَنظرُ إلى أعمَاقِ نَفسِي/ وفي أمعَاءِ دُولابِ الكتُبِ يجولُ الفَأرُ (راشد حسين، ١٩٦٦: ٦٣)

«يردّ بياليك على الرؤية التقليدية اليهودية بواسطة التراث ومشيراً إلى دعوته في الإحياء القومي، فالعلاقة بين الشاعر وأوراق التلمود في هذه الأشعار لم تكن علاقة عميقة ومتّصلة براحة روحه وعزا نفسه» (نايف الهديب، ٢٠٠٦: ٢٩)؛ لأنّه يرى بأنّ هذه التعاليم التوراتية أصبحت باليةً ومنخرقةً ويسمّى هذه الكتب التوراتية بالعجائز التي كلّما ينظر الإنسان إليها لا يفهم شيئاً ولا يساعد الشعب اليهودي عبر التاريخ. يستكشف التراث عن الفكرة المتناقضة عند بياليك بين التقليد والتجديد حيث يوظّفه في سبيل الملجأ والمأوى يتّصل الشعب اليهودي إلى هويتهم الدينية وفي مكان آخر يردّ الدين والتعلّق به فيكرّس الفكرة المادية والفلسفة الصهيونية في دفع مصائب اليهود وإزالة المصادر الشرقية والفكرة الدينية عند الشعب اليهودي.

د) القومية ومفهوم الخلاص:

يستند الوجه الآخر من القومية إلى أساس "فكرة الخلاص" في الشعر اليهودي الحديث وهذه تشتمل على التخلّص من الفكرة العبودية والتشرّد والمنفى والصراع. ركزت فكرة الخلاص في ذهنية بياليك الشاعر اليهودي الحديث على أساس البرنامج الصهيونية التي تمتاز بالثورة والعنف ونفي الانزواء والانعزال اليهود فهذا يختلف عن الرؤية المثالية اليهودية المتمثلة بظهور المسيح الموعود وخروج اليهود من التيه والتشرّد بواسطته ولكن في العصر الحديث «وقد تريث الشاعر في جانب فكرة الخلاص بإرساء المقوّمات القومية فلابدّ لليهود أن ينفّض غبار العبودية والاضطهاد وأن ينقذ الشرارات من داخله في العصر الحديث» (عبدالمسيح الشاذلي ورأفت سالم، ٢٠٠٤: ٤٧). فربّما أنّ فكرة الخلاص تجلّت في الكثير من طقوسات اليهود وشعائرهم ولكن نادراً أن يطبع بالصبغة الثورية والجماعية على هيئة التمرّد والعنف والعودة إلى أرض الميعاد، لأنّ اليهود يزعمون «أنّ الخلاص الحقيقي والجوهري يأتي من جانب الرّب وحده فإنّ المنجي الموعود لاشكّ سيظهر مستقبلاً» (بشير، ٢٠٠٥: ٢٥).في هذا الصدد أنّ فكرة الخلاص تحوّلت في الشعر اليهودي الحديث من المفهوم الديني إلى المفهوم الصهيوني والعلماني اذ استعان شعراء اليهود من شخصية المسيح ووظّفوه بشكلٍ جديدٍ وقد يغاير بالموازين التوراتية القديمة.

يتطرّق بياليك إلى فكرة الخلاص المووزثي وينتقد الاهتمام بالموازين الديانة اليهودية في أشعاره كأنّها لم تنفع الشعب اليهودي ويصف في جانبها الظهور الصهيونية بوصف المنجي والخلاص اليهودي من المأساة كقوله في قصيدة "مع الشمس":

إن بَحَثتُم عن ضِياءِ الشَّمسِ بِلا جَدوَى/ فَامضُوا وَاخلُقُوا مِن العَدَمِ/ مِن الرُّخامِ اقطَعُوهُ ومِن الصُّخُور انحَتُوه/ ومِن زَوايا قَلبِكم اجذَبُوه (راشد حسين، ١٩٦٦: ٢٣٥)

عبّر بياليك عن فكرة الخلاص ويبثّ الأمل في الحياة الجديدة اليهودية فإنّها تعتمد على أساس الفكرة الصهيونية وهكذا لم يجد بياليك وسيلة لتحقيق الخلاص اليهودي سوى القوّة ودحض فكرة تمسّك بالتعاليم الموروثة والديانة اليهودية. من مظاهر أخرى لفكرة الخلاص عند الشاعر فهو تحريض اليهود على الخروج من التشرّد والحركة نحو أرض الميعاد كقوله في قصيدة "آخر موتى الصّحراء":

قُوموا أيها التَّائِهون فِي الصَّحراءِ واخرُجُوا مِن البَرية/ فَمَازالَ الطَّريقُ طَويلاً ومَازالتِ الحَربُ طويلةً/ عَلَيكم أن تَتحرّكوا في الصَّحراءِ وأن تتيهُوا في الصَّحراء/ فَمَازَالَ الطَّريقُ أمَامَكم مُمتَدّاً وعَرِيضَاً/ واذهَب هذا اليومَ إلى أرضٍ جَدِيدةٍ/ وقد تنبني فِيهَا بَيتاً آخَراً وستَنصَبُ خِيمةَ أُخرى (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٩٠)

اتّخذ بياليك العودة إلى أرض الميعاد بمثابة فكرة الخلاص حيث يشير إلى أحوال اليهود في "صحراء سينا" ومدى تيههم وتشرّدهم فيها لتوجّههم إلى المرارة والحركة نحو فكرة الخلاص الجماعي فهو إحياء وطنهم، وأيضاً تشكلت فكرة الخلاص عند الشاعر بمفهوم "العنف" حيث يحتوي على مضامين الخشونة والقسرية فإنّها نابعةٌ عن مساعي الشاعر في تحريك اليهود الجدَد على المناهضة والحرب أمام من يقاومونهم كقوله:

مَزِّق رُوحَك إرباً.../ فانتَزِع قَلبَك... فاقذِف بِها إلى إبنَ آوى.../ وأطلِق لِدُمُوعِك العنانَ علي الصَّخرِ الملتَهب.../ ولتَذهَبَ صَيحتَك أدراجَ الرِّياحِ... (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٤٥)

أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى قسوة وقوّة الشعب اليهودي؛ لتمكين مظاهر الخلاص فهو لا يبالي بصفات دينية وإنسانية يهودية في طوال العصور الوُسطى فلذا يبادر جلّ اهتمامه إلى تغيير الشخصية اليهودية بوصف الشخصية الخشنة التي لا تعرف المرونة والشعور الإنساني فلا ترحم أبداً.

في مكان آخر يعرج الشاعر في قصيدة "مدينة المذبحة" الإشارة إلى "عقدة الاضطهاد" فلابدّ للشعب اليهودي مراعاته في خلاصهم والعودة إلى أرضهم فهو الحرب والمناهضة أمام الأغيار حيث يقول:

مِن حَديدٍ... مِن فُولاذٍ باردٍ كالجليدِ/ اصنَع لك قلباً يا رجَلُ! وَضعه بَينَ جَوانحِك/ وتَعالَ مَعِي... تَعالَ إلى مَدينةِ المُذبَحةِ!/ إذ ينبَغِي إلى أن تَرى بِعينيكَ وأن تَلمسَ بِيدك (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٤٢)

حمّلت هذه الكلمات عند الشاعر «روحاً تتعلّق بالقسوة والعنف فهو يشوّق الشعب اليهودي لإظهار القوّة والتخلّص من الشفقة والرّحمة والتعاطف كأنّه يتمسّك بآلة القتل والخشونة لتوطيد فكرة الخلاص الجديد عند الشعب اليهودي» (سليمان، ٢٠١١: ٧٩). يشجّع بياليك عبر فكرة الخلاص الشعب اليهودي على "مفهوم الثورة" «حيث يعمد إلى شتم اليهود ووصفهم بالتخاذل والكفر بربّ اليهود، لأنّهم لم ينهضوا بالثورة ولا يهتمون بالخلاص طوال القرون» (قرانيا، ٢٠١١: ١٢٣) كقوله:

أُنظُر إلى قُلُوبِهم، النَّفاية الحقيرةُ/ حيثُ لا ينمُو فيها الثَّأرُ/ ولَم تَخرُج مِن شِفائهم الشَّتائم البَشعة/ قَدّم قلبَك فداءً للحنق بِلا حَولٍ وقَوّةٍ/ واذرِف دَمعتَك الكبيرةَ هناك عَلَى قِممِ الصُّخُور/ وأطلِق صَرختك المريرةَ التي ستَضيعُ فِي العاصِفَة (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٠٩)

ينبّه الشاعر الشعب اليهودي إلى الصراع والثورة، لأنّ القومية لم تحقّق إلّا بواسطة الحركة نحو الثورة والثأر ويكترث بالعلاقة الوطيدة بين شفاء اليهود وتخلّصهم من المأساة بواسطة الثورة فالشاعر يشوّه القلب الإنسان اليهودي الذي لا ينمو فيه الثورة والغضب والخشونة، فالواضح أنّ توظيف مفهوم الخلاص في قصائد الشاعر يرتبط بمفهوم الثورة والحرب والخشونة والعنف فإنّها نابعة من تأثّر الشاعر بالفلسفة الأوروبية كـ «أفكار "نيتشه" و"دارون" بما فيها من أنماط القوّة والقدرة والعنصرية والبقاء للأصلح والقضاء على الأجناس أقلّ درجةً في سلّم الرقي والتطور البشري»(نايف الهديب، ٢٠٠٧: ٨١).

لقد أوحت فكرة الخلاص عند الشاعر بتمنياته تجاه الدولة الصهيونية فإنّه يشير إلى العلاقة الحميمة بين مفهوم التخلّص والمناهضات الصهيونية كقوله:

هَا نَحنُ نَنهَضُ إلى السِّلاحِ إلى السِّلاحِ/ إنّي أعرفُ قَدرَ إسرائيلَ/ فَلَسُوفَ تَقهرُ الأمّةُ المنبعةُ (إسرائيل) العَمَالقةَ (راشد حسين، ١٩٦٦: ١٢٩)

من الواضح أنّ فكرة الخلاص عند الشاعر يتعاطي مع إقبال اليهود مع النزعة الصهيونية الجديدة دون ردّة إلى الماضي والتباكي عليه، فلابدّ لليهود أن يسيرون في نهج الدُّولة الصهيونية وقد يناهض مع أعداء بالسّلاح والحرب والخشونة والثورة دون أن

يتهمّشوا في الصحاري الخالية فلذا يعدل بياليك عن العقيدة اليهودية الدينية في إعادة سطوة واستيطان اليهود فيتوجّه إلى الرّوّية القومية المتطرفة في أشعاره لتخلّص اليهود مِن المأساة والتشرد والسبي.

النتائج

- المتتبع في الآثار الشعرية اليهودية في شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي والأموي والعباسي فتجد نوعاً من الانكماش والانحطاط حيث لا توجد عند شعراءهم القصائد الشعرية التي تبين هويتهم وذاتهم اليهودية بل تتضمّن أشعارهم في تلك العصور بالتأثّر من أسلوب الشعر العربي شكلاً ومضموناً دون الوقوف على القومية اليهودية ومرتكزاتها كإنشاد الشعر باللغة العبرية والحديث عن أرض الميعاد. لقد تأثّر اليهود بالنزعات القومية في أوروبا خاصّةً روسيا وتغيرت مصادر الشعر اليهودي على أساس وصف معاناتهم كالتشرد والجيتو والمنفى والسبي فإنّ شعراء اليهود يقارنون بين أوضاع اليهود في الماضي والرّاهن لإحياء النزعة القومية في الشعر اليهودي والاتّكاء على الأدب كالعنصر الأساسي في توطيد مقوّمات الدولة الصهيونية.
- رسمت مظاهر القومية في شعر بياليك على أساس تطهير الجنسية اليهودية وتهويد أرض فلسطين لتهميش أدب المقاومة العربية ومساعيها وأيضاً تغيير الشخصية اليهودية من الشخصية الشيلوكية إلى الشخصية اليهودية السوبرمانية بعيدة عن الضعف والخوف. فإنّ الشاعر يخرج القومية اليهودية من الخصائص الفردية معتمدة على التفضيل إلى الخصائص الجماعية تحت ظلّ المفاهيم العرقية، والوطنية، والتراثية وفكرة الخلاص؛ فكلّ هذه المفاهيم ترتكز على دفع اليهود إلى التنوير العقلي والمادي والحركة نحو الانطوائية وإصلاح المجتمع اليهودي وأيضاً خروجهم من التيه والشتات إلى وطنهم المزعوم فلسطين. يستخدم بياليك الرّموز التاريخية اليهودية كقصّة "يشوع بن نون" و"انزواء اليهود في الشتات" و"أحداث قوم بني إسرائيل" في التعبير عن موقفه السياسي؛ حيث نقل الشاعر تجربته الشعرية عبر أهدافه السياسية التي تهدف إلى تحقير الأمم الأخرى؛ لأنّهم ليسوا مِن ذُرية يعقوب وفي الجانب الآخر

لترغيب وتشجيع اليهود في حفاظ قوميتهم وتمثّل بمعاناتهم بما أنّ الصهيونية تستطيع أن يخلّص اليهود من المأساة في العصر الحديث.

- تناول الشاعر عبر التطوّرات القومية في أشعاره "فكرة الخلاص" للشعب اليهودي فيعطيها الصبغة العنصرية الصهيونية، فإنّ الشاعر يصف أحوال اليهود في الشتات والتيه ثمّ يجدّد الأمل عند اليهود للرجوع إلى وطنهم فلسطين بواسطة الثورة والحرب والعنف والخشونة، فالجدير أنّ مرتكزات "فكرة الخلاص" عند الشاعر يغاير بالفكرة التوراتية الدينية التي تتمسّك بظهور "يشوع" من جانب الله لتخلّص آلام اليهود فيعرّف بياليك الفكرة الصهيونية بوصف المنجي اليهودي في الحاضر.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم عباس، سعاد (٢٠٠٩م). «الجيتو وأثره في الأدب العبري». *مجلة مركز الدراسات الفلسطينية*، جامعة بغداد، العدد ٩، صص١٦٩-١٨٠.

٢. أبو الفرج، علي بن حسن (١٩٩٢م). *الأغاني*. ج ١٩، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. أحمد ديبو، إبراهيم (٢٠١٠م). «التفاضيل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة: دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والفلسفة». *مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية*، المجلد ٢٦، العدد ٢، صص٥٢٠-٥٤٠.

٤. أنور، محمود زناتي (٢٠١٥م). «يهود البلاد العربية». *مجلة المستقبل العربي*، آذار، العدد ٤٣٣، صص١٦٩-١٨٠.

٥. بشير، نبيه (٢٠٠٥). *الخلاص اليهودي في التراث اليهودي المقدّس*. دمشق: قدمس.

٦. حنفي، حسن (٢٠١٢م). *الهوية*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

٧. حسنين علي، فؤاد (١٩٧٢م). *الأدب اليهودي المعاصر*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

٨. حسين شمالة، مروان عبدالرّحمن (٢٠١٢م). *الاستراتيجية الصهيونية تجاه مدينة القدس*. أطروحة الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، إشراف: أكرم محمّد محمود عدوان.

٩. الخالدي، خالد يونس عبدالعزيز (١٩٩٩م). *اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس*. فلسطين: غزة.

١٠. راشد، حسين (١٩٦٦م). *حاييم نحمان بياليك، نخبة من شعره ونثره (الترجمة)*. تل أبيب: دار دفير للنشر.

١١. سليمان، علي (٢٠١١م). *العنف في الأدب الصهيوني*. دمشق: وزارة الثقافة.

١٢. الشاذلي، جمال عبدالمسيح؛ وسالم، نجلاء رأفت (٢٠٠٤م). *الشعر العبري الحديث مراحله وقضاياه*. القاهرة: منتديات سور الأزبكية.

١٣. عبدالله الشامي، رشاد (لا تا). *تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي*. القاهرة: دار الثقافية للنشر.

١٤. علي، جواد (١٩٧٢م). *تاريخ العرب قبل الإسلام*. ج ٦، العراق: بغداد: دار المجمع العلمي.

١٥. العياري، صالح (١٩٨٧م). *في الشعر العبري والصهيوني المعاصر*. القاهرة: دار الثقافة.

١٦. قرانيا، محمّد (٢٠١١م). *النزوع العنصري في الأدب الصهيوني*. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب.

١٧. كيوان، مأمون (١٩٩٧م). «الصهيونية الأدبية وموضوعاتها: الشعر نموذجاً». *مجلة المعرفة*، العدد ٤٠٢، صص١٨٠-٢٠٠.

١٨. المسيري، عبد الوهاب (١٩٨٢م). *الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم الاجتماع المعرفة*. الكويت: مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٩. المسيري، عبد الوهاب (٢٠٠٣م). *التجانس اليهودي والشخصية اليهودية*. القاهرة: منتديات الوحدة العربية.

٢٠. المسيري، عبد الوهاب (٢٠٠٧م). *في الأدب والفكر دراسات في الشعر والنثر*. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

٢١. مطاوع، علي (٢٠٠٦م). *الشعر في العهد القديم: الأغراض والسمات الفنية*. مراجعة: محمّد خليفة حسن أحمد، جامعة القاهرة: سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية.

٢٢. نايف الهديب، فائزة عبدالأمير (٢٠٠٦م). *القصص التوراتية في الشعر العبري الحديث (بياليك، تشر نخوفسكي، كرينبرك)*. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

٢٣. نايف الهديب، فائزة عبد الأمير (٢٠٠٧م). *الاتجاهات الصهيونية في الأدب العبري الحديث: دراسة وتحليل*. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

Sources

Abbas, S. I. (2009). "Ghetto and its effect on the Hebrew literature". Journal of the Center for Palestine Studies, University of Baghdad, No.9, pp. 169-180. [in Arabic].

Abu al-Faraj, A. H. (1992). Songs. P19, Beirut: The Scientific Books Publisher. [in Arabic].

Al-Ayyari, S. (1987). In Contemporary Hebrew and Zionist Poetry. Cairo: House of Culture. [in Arabic].

Al-Khalidi, K. Y. (1999). Jewish in the Arab Islamic State in Andalusia. Palestine: Gaza. [in Arabic].

Al-Masiri, A. (1982). Zionist Ideology, Case Study in Sociology of Knowledge. Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters. [in Arabic].

——————— (2003). Jewish Homogeneity and the Jewish Personality. Cairo: Forums of Arab Unity. [in Arabic].

——————— (2007). In Literature and Intellectual Studies in Poetry and Prose. Cairo: Al-Shorouk International Library. [in Arabic].

Al-Shami, R. A. (n.d.). Dismantling Zionism in Israeli Literature. Cairo: Cultural House for Publishing. [in Arabic].

Al-Shazly, J. A.; & Salem, N. R. (2004). Modern Hebrew Poetry Phases and Issues. Cairo: The Azbakeya Wall Forums. [in Arabic].

Ali, J. (1972). History of the Arabs before Islam. Vol.6, Iraq: House of the Academic Council. [in Arabic].

Anwar, M. Z. (2015). "The Jewish of Arab Countries". The Arab Future Magazine, March, No.433, pp. 69-180. [in Arabic].

Bashir, N. (2005). Jewish Salvation in the Holy Jewish Heritage. Damascus: Qudamus. [in Arabic].

Dibo, I. A. (2010). "The Human Difference in Sex, Race, and Genetics: A Comparative Study between Islamic Law and Philosophy". Damascus University Journal of Economic and Legal Sciences, Vol.26, No.2, pp. 520-540. [in Arabic].

Hanafi, H. (2012). Identity. Cairo: Supreme Council of Culture. [in Arabic].

Hasanein Ali, F. (1972). Contemporary Jewish Literature. Cairo: Department of Palestinian Research and Studies. [in Arabic].

Hussein Shamala, M. A. (2012). The Zionist strategy towards the city of Jerusalem. Master Thesis, Islamic University of Gaza, Faculty of Arts, supervision: Akram Mohammed Mahmoud Adwan. [in Arabic].

Kiwan, M. (1997). "Literary Zionism and its topics: Poetry as an example". Knowledge Magazine, No.402, pp. 180-200. [in Arabic].

Mutawa, A. (2006). Poetry in the Old Testament: Artistic Purposes and Features, Reviewed by: Mohamed Khalifa Hassan Ahmed, Cairo University: Literary and Linguistic Studies Series. [in Arabic].

Nayef al-Hudaib, F. A. (2006). Biblical Stories in Modern Hebrew Poetry (Bialik, Chur Nakhovsky, Krebrenck). Amman: Dar Majdalawi for Publishing and Distribution. [in Arabic].

——————— (2007). Zionist Trends in Modern Hebrew Literature: Study and Analysis. Amman: Dar Majdalawi for Publishing and Distribution. [in Arabic].

Quraniya, Muhammad (2011). Racism in Zionist Literature. Damascus: Writers Union Publications. [in Arabic].

Rashed, H. (1966). Nahman Bialik, An elite of his poetry and prose (translation), Tel Aviv: Dafir Publishing House. [in Arabic].

Suleiman, A. (2011). Violence in Zionist Literature. Damascus: Ministry of Culture. [in Arabic].